

صُفْوَةُ النَّفْسِ

تفسير للقرآن الكريم ، جامع بين المأثور والمعقول ، مستمد من أوثق كتب التفسير
« الطبري ، الكشاف ، القرطبي ، الألوسي ، ابن كثير ، البحر المحيط » وغيرها
بأسلوب مبسّط ، وتنظيم حديث ، مع العناية بالوجه البليغ واللفظية

المجلد الثالث

تأليف

محمد علي الصّابوني

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز

دار القرآن الكريم

بيروت



بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

* سورة النجم مكية وهي تبحث عن موضوع الرسالة في إطارها العام ، وعن موضوع الإيمان بالبعث والنشور شأن سائر السور المكية .

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن موضوع « المعراج » الذي كان معجزة لرسول الإنسانية محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ، والذي رأى فيه الرسول الكريم عجائب وغرائب في ملكوت الله الواسع مما يدهش العقول ويحير الألباب ، وذكّرت الناس بما يجب عليهم من الإيمان والتصديق ، وعدم المجادلة والمهارة في مواضيع الغيب والوحي .

* ثم تلاها الحديث عن الأوثان والأصنام التي عبدها المشركون من دون الله ، وبينت بطلان تلك الآلهة المزعومة ، وبطلان عبادة غير الله ، سواء في ذلك عبادة الأصنام أو عبادة الملائكة الكرام .

* ثم تحدثت عن الجزاء العادل يوم الدين ، حيث تجزى كل نفس بما كسبت ، فينال المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته ، ويتفرق الناس إلى فريقين : أبرار ، وفجار .

* وقد ذكرت برهاناً على الجزاء العادل بأن كل إنسان ليس له إلا عمله وسعيه ، وأنه لا تحمل نفسٌ وزر أخرى ، لأن العقوبة لا تتعدى غير المجرم ، وهو شرع الله المستقيم ، وحكمه العادل الذي بينه في القرآن العظيم ، وفي الكتب السماوية السابقة .

* وذكرت السورة الكريمة آثار قدرة الله جل وعلا في الإحياء والإماتة ، والبعث بعد الفناء ، والإغناء والإفقر ، وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نقطة إذا تمنى .

* وختمت السورة الكريمة بما حلّ بالأمم الطاغية كقوم عاد ، وثمود ، وقوم نوح ولوط ، من أنواع العذاب والدمار ، تذكيراً لكفار مكة بالعذاب الذي ينتظرهم بتكذيبهم لرسول الله ﷺ ، وزجراً لأهل البغي والطغيان عن الاستمرار في التمرد والعصيان .

قال الله تعالى : ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . . إلى . . هو أعلم بمن اتقى﴾
من آية (١) إلى نهاية آية (٣٢) .

اللفظة : ﴿هوى﴾ هوى يهوى إذا سقط إلى أسفل ﴿مِرَّةً﴾ المِرَّةُ بكسر الميم القوة قال قطرب : تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل : ذو مِرَّةٍ^(١) ﴿تدلَّى﴾ التدلى : الامتداد من أعلى إلى أسفل يقال : تدلَّى الغصن إذا امتد نحو الأسفل ﴿قَاب﴾ قدر قال في البحر : القَابُ والقَادُ والقَيْدُ : المقدار^(٢) ﴿ضيزى﴾ جائرة مائلة عن الحق يقال : ضاز في الحكم أي جار ، وضازه حقه أي بخسه قال الشاعر :

ضازت بنو أسدٍ بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب
﴿اللَّمَمُ﴾ الصغائر من الذنوب قال الزجاج : أصل اللَّمَم ما يعملها الإنسان المِرَّةُ بعد المرة ولا يقيم عليه
يقال : ما فعلته إلا لماً ولِماماً ﴿أَجَنَةً﴾ جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي جنيناً لاستتاره .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾

النفيس : ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي أقسم بالنجم وقت سقوطه من علو قال ابن عباس : أقسم سبحانه بالنجوم إذا انتقضت في إثر الشياطين حين استراقها السمع^(٣) وقال الحسن : المراد في الآية النجوم إذا انثرت يوم القيامة كقوله ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثرت﴾ قال ابن كثير : الخالق يُقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي أن يُقسم إلا بالخالق^(٤) ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ أي ما ضلَّ محمدٌ عن طريق الهداية ، ولا حاد عن نهج الاستقامة ﴿وما غوى﴾ أي وما اعتقد باطلاً قط بل هو في غاية الهدى والرشد قال أبو السعود : والخطاب لكفار قريش ، والتعبير بلفظ ﴿صاحبكم﴾ للإيدان بوقوفهم على تفاصيل أحواله ، فإن طول صحبتهم له ، ومشاهدتهم لمحاسن أوصافه العظيمة مقتضية ذلك^(٥) ﴿وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي لا يتكلم ﷺ عن هوى نفسي ورأي شخصي ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي لا يتكلم إلا عن وحيٍ من الله عز وجل قال البيضاوي : أي ما القرآن إلا وحيٌ يوحيه الله إليه^(٦) ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ أي علَّمه القرآن ملكٌ شديدٌ قواه وهو جبريل الأمين قال المفسرون : وما يدل على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها ، وصاح بشمود فأصبحوا خامدين ، وكان هبوطه بالوحي على الأنبياء أو صعوده في أسرع من رجعة الطرف ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾

(١) تفسير القرطبي ١٧/٨٦ . (٢) البحر المحيط ٨/١٥٤ . (٣) هذه إحدى الروايات عن ابن عباس ، وعنه أن المراد بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر . (٤) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٣٩٦ . (٥) تفسير أبي السعود ٥ . (٦) تفسير البيضاوي ٤/١٧١ .

وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾

أي ذو حصافة في العقل ، وقوة في الجسم ، فاستقر جبريل على صورته الحقيقية ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أي وهو بأفق السماء حيث تطلع الشمس جهة المشرق قال ابن عباس : المراد بالأفق الأعلى مطلع الشمس^(١) قال الخازن : كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة الأدميين كما كان يأتي الأنبياء قبله ، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها ، فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ، ومرة في السماء ، فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى أي جانب المشرق حيث كان رسول الله ﷺ بحراء فطلع عليه جبريل من ناحية المشرق وفتح جناحيه فسد ما بين المشرق والمغرب ، فخر رسول الله ﷺ مغشياً عليه ، فنزل جبريل في صورة الأدميين فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ وأما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ، ولم يره أحد من الأنبياء على صورته الملكية التي خلق عليها إلا نبينا محمد ﷺ^(٢) ﴿ثم دنا فتدلى﴾ أي ثم اقترب جبريل من محمد وزاد في القرب منه ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ أي فكان منه على مقدار قوسين أو أقل قال الألوسي : والمراد إفادة شدة القرب فكأنه قيل : فكان قريباً منه^(٣) ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ أي فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله محمد ﷺ ما أوحى إليه من أوامر الله عز وجل ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أي ما كذب قلب محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل الحقيقية قال ابن مسعود : رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستائة جناح ، كل جناح منهما قد سد الأفق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم^(٤) ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أي أفتمارونه يا معشر المشركين على ما رأى ليلة الإسراء والمعراج ؟ قال في البحر : كانت قريش حين أخبرهم ﷺ بأمره في الإسراء كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم بيت المقدس ، والجمهور على أن المرثي مرتين هو جبريل ، وعن ابن عباس وعكرمة أن الرسول ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ، وأنكرت ذلك عائشة وقالت إنه رأى جبريل في صورته مرتين ثم قال أبو حيان : والصحيح أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل بدليل قوله تعالى ﴿ولقد رآه نزلةً أخرى﴾ فإنه يقتضي مرة متقدمة^(٥) ﴿ولقد رآه نزلةً أخرى﴾ أي رأى الرسول جبريل في صورته الملكية مرة أخرى ﴿عند سدرة المنتهى﴾ أي عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش قال المفسرون : والسدرة شجرة النبق تنبع من أصلها الأنهار ، وهي عن يمين العرش ، وسميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها علم الخلائق وجميع الملائكة ، ولا يعلم أحد ما وراءها إلا الله جل وعلا وفي الحديث (ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، ورفعت إلي سدرة المنتهى ، فإذا نبقتها - أي ثمرها - مثل قلال هجر ، وإذا

(١) تفسير القرطبي ٨٨/١٧ . (٢) تفسير الخازن ٢١٣/٤ . (٣) تفسير الألوسي ٤٨/٢٧ . (٤) أخرجه الإمام أحمد .

(٥) البحر المحيط ١٥٨/٨ أقول : ما ذكره صاحب البحر قوي من حيث الدلالة ، ومذهب أهل السنة أن النبي ﷺ رأى ربه ليلة المعراج في السموات العلى رؤية بصرية ، ولهم أدلة من السنة النبوية ، أمّا الآيات الكريمة فالراجح ما قاله الجمهور ، والله أعلم .

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۚ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۚ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ۚ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۚ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ أَلَمْ تَكُنْ لَهُ الْآنْثَىٰ ۚ

أوراقها كآذان الفيلة . . . (١) ﴿عندها جنة المأوى﴾ أي عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ أي رآه وقت ما يغشى السدرة ما يغشى من العجائب قال الحسن : غشيها نور رب العالمين فاستنارت وقال ابن مسعود : غشيها فراش من ذهب (٢) وفي الحديث (لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسننها) (٣) قال المفسرون : رأى عليه السلام شجرة سدرة المنتهى وقد غشيتها سبحات أنوار الله عز وجل ، حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها ، وغشيتها الملائكة أمثال الطيور يعبدون الله عندها ، يجتمعون حولها مسبحين وزائرين كما يزور الناس الكعبة وفي الحديث (رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ، ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله تعالى) (٤) ﴿ما زاع البصر﴾ أي ما مال بصر النبي ﷺ في ذلك المقام وفي تلك الحضرة يميناً وشمالاً ﴿وما طغى﴾ أي وما جاوز الحد الذي رأى قال القرطبي : أي لم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات ، وهذا وصف أدب النبي ﷺ في ذلك المقام إذ لم يلتفت يميناً ولا شمالاً (٥) وقال الخازن : لما تجلَّى رب العزة وظهر نوره ، ثبت ﷺ في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول ، وتزل فيه الأقدام ، وتميل فيه الأبصار (٦) ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي والله لقد رأى محمد - ليلة المعراج - عجائب ملكوت الله ، رأى سدرة المنتهى ، والبيت المعمور ، والجنة والنار ، ورأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات له ستمائة جناح ، ورأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سد الأفق (٧) ، وغير ذلك من الآيات العظام قال الفخر : وفي الآية دليل على أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج آيات الله ولم ير الله كما قال البعض ، ووجهه أن الله ختم قصة المعراج برؤية الآيات ، وقال في الإسراء ﴿لنريه من آياتنا﴾ ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن ولأخبر تعالى به (٨) ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ أي أخبرونا يا معشر الكفار عن هذه الآلهة التي تعبدونها « اللات والعزى ومناة » هل لها من القدرة والعظمة التي وُصف بها رب العزة شيء حتى زعمتم أنها آلهة ؟ قال الخازن : هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها ، واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ، ومن العزيز العزى ، وكانت اللات بالطائف ، والعزى بغطفان وقد حطمها خالد بن الوليد ، ومناة صنم لحزاعة يعبداه أهل مكة (٩) ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ ؟ توبيخ وتقريع أي ألكم يا معشر المشركين النوع المحبوب من الأولاد وهو الذكر ، وله تعالى النوع المذموم بزعمكم وهو الأنثى ؟

(١) جزء من حديث أخرجه الشيخان . (٢) الحديث رواه مسلم . (٣) أخرجه مسلم أيضاً .

(٤) تفسير أبي السعود ١٥٧/٥ (٥) تفسير القرطبي ٩٨/١٧ . (٦) تفسير الخازن ٢١٦/٤ .

(٧) رؤيته ﷺ للرفرف الأخضر الذي سد الأفق أخرجه البخاري عن ابن مسعود .

(٨) التفسير الكبير ٧/٧٤٠ . (٩) تفسير الخازن ٢١٨/٤ .

تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ۖ (٢٢) إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ۖ (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ۖ (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ۖ * وَكَمِ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعَدَ ۚ إِنَّ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ۖ (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأَنْثَى ۖ وَمَا لَهُمْ

﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ أي تلك القسمة قسمة جائرة غير عادلة حيث جعلتم لربكم ما تكرهونه لأنفسكم قال الرازي : إنهم ما قالوا لنا البنون وله البنات ، وإنما نسبوا إلى الله البنات وكانوا يكرهونها كما قال تعالى ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ فلما نسبوا إلى الله البنات حصل من تلك النسبة قسمة جائرة^(١) ﴿إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم﴾ أي ما هذه الأوثان إلا أسماء مجردة لا معنى تحتها لأنها لا تضر ولا تنفع ، سميتوها آلهة أنتم وآباؤكم وهي مجرد تسميات ألقيت على جادات ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أي ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ أي ما يتبعون في عبادتها إلا الظنون والأوهام ، وما تشتهي أنفسهم مما زينه لهم الشيطان ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أي والحال أنه قد جاءهم من ربهم البيان الساطع ، والبرهان القاطع على أن الأصنام ليست بآلهة ، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار قال ابن الجوزي : وفيه تعجب من حالهم إذ لم يتركوا عبادتها بعد وضوح البيان^(٢) ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ أي ليس للإنسان كل ما يشتهي حتى يطمع في شفاعة الأصنام قال الصاوي : والمراد بالإنسان الكافر ، وهذه الآية تجر بذيلها على من يلتجئ لغير الله طلباً للنفاني ، ويتبع هوى نفسه فيما تطلبه فليس له ما يشتهي ، واتباع الهوى هوان^(٣) ﴿فله الآخرة والأولى﴾ أي فالملك كله لله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، لأنه مالك الدنيا والآخرة ، وليس الأمر كما يشتهي الإنسان ، بل هو تعالى يعطي من اتبع هداه وترك هواه . . ثم أكد هذا المعنى بقوله ﴿وكم من ملك في السموات﴾ أي وكثير من الملائكة الأبرار الأطهار المنشين في السموات ﴿لا تغني شفاعتهم شيئاً﴾ أي أن الملائكة مع علو منزلتهم ورفعة شأنهم لا تنفع شفاعتهم أحداً إلا بإذن الله ، فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ؟ ! ﴿إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ أي إلا من بعد أن يأذن تعالى في الشفاعة لمن يشاء من أهل التوحيد والإيمان ويرضى عنه كقوله تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ قال ابن كثير : فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين ، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة الأصنام والأنداد عند الله تعالى^(٤) ؟ ثم أخبر تعالى عن ضلالات المشركين فقال ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي لا يصدقون بالبعث والحساب ﴿ليُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأَنْثَى﴾ أي ليزعمون أنهم إناث وأنهم بنات الله ﴿وما لهم به من علم﴾ أي لا علم لهم بما

(١) التفسير الكبير ٧/٧٤٣ . (٢) تفسير ابن الجوزي ٨/٧٤ .

(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ٤/١٣٩ . (٤) مختصر تفسير ابن كثير ٣/٤٠١ .

بِهِ مَنْ عَلِمَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ
ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ

يقولون أصلاً ، لأنهم لم يشاهدوا خلق الملائكة ، ولا جاءهم عن الله حجة أو برهان ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ﴾ أي ما يتبعون في هذه الأقوال الباطلة إلا الظنون والأوهام ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئًا﴾ أي وإن الظن لا يجدي شيئاً ، ولا يقوم أبداً مقام الحق ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي
فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين الذين استنكفوا عن الإيمان والقرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
أي وليس له هم إلا الدنيا وما فيها من النعيم الزائل ، والمتعة الفانية قال أبو السعود : والمراد النهي عن
دعوة المعرض عن كلام الله وعدم الاعتناء بشأنه ، فإن من أعرض عما ذكر ، وانهمك في الدنيا بحيث
صارت منتهى همته وقصارى سعيه ، لا تزيده الدعوة إلا عناداً وإصراراً على الباطل ^(١) ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ
مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي ذلك نهاية علمهم وغاية إدراكهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ أي هو عالم بالفريقين : الضالين والمهتدين ويجازيهم بأعمالهم
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي له كل ما في الكون خلقاً وملكاً وتصرفاً ليس لأحد من ذلك شيء
أصلاً ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي ليجازي المسيء بإساءته ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
بِالْحُسْنَى﴾ أي وليجازي المحسن بالجنة جزاء إحسانه قال ابن الجوزي : والآية إخبار عن قدرته وسعة
ملكه ، وهو كلام معترض بين الآية الأولى وبين قوله ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ لأنه إذا كان أعلم بالمسيء
وبالمحسن جازى كلاً بما يستحقه ، وإنما يقدر على مجازاة الفريقين إذا كان واسع الملك ^(٢) . ثم ذكر تعالى
صفات المتقين المحسنين فقال ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ أي يتعدون عن كبائر الذنوب كالشرك
والقتل وأكل مال اليتيم ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ أي ويتعدون عن الفواحش جمع فاحشة وهي ما تنهى قبحها
عقلاً وشرعاً كالزنى ونكاح زوجة الأب لقوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ وقوله ﴿وَلَا
تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ أي
إلا ما قل وصغر من الذنوب قال القرطبي : وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله
كالقبلة والغمزة والنظرة ^(٣) وفي الحديث (إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حفظه من الزنى ،
أدرك ذلك لا محالة ، فرنى العينين النظر ، وزنى اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج
يصدق ذلك أو يكذبه) ^(٤) فإذا اجتنب العبد كبائر الذنوب غفر الله بفضله وكرمه الصغائر لقوله تعالى

(١) تفسير أبي السعود ١٦٠/٥ . (٢) تفسير ابن الجوزي ٧٥/٨ . (٣) تفسير القرطبي ١٧/١٠٦ . (٤) أخرجه البخاري ومسلم .

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ^(١) فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى^(٢)

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يعني الصغائر^(١) ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي هو تعالى غفار الذنوب ستار العيوب ، يغفر لمن فعل ذلك ثم تاب قال ابن كثير : أي رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها^(٢) قال البيضاوي : ولعله عقَّب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين ، لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ، ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى^(٣) ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي هو جل وعلا أعلم بأحوالكم منكم قبل أن يخلقكم ، ومن حين أن خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي ومن حين أن كنتم مستترين في أرحام أمهاتكم ، فهو تعالى يعلم التقى والشقي ، والمؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، علم ما تفعلون وإلى ماذا تصيرون ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تمدحوها على سبيل الإعجاب ، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقوى ، فإن النفس خسيصة إذا مدحت اغترت وتكبرت قال أبو حيان : أي لا تنسبوا إلى الطهارة عن المعاصي ، ولا تتنوا عليها ، فقد علم الله منكم الزكي والتقوى قبل إخراجكم من صلب آدم ، وقبل إخراجكم من بطون أمهاتكم^(٤) ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ أي هو تعالى العالم بمن أخلص العمل ، واتقى ربه في السر والعلن .

قال الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى .. إِلَى .. فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ من آية (٣٣) إلى آية (٦٢) نهاية السورة .

المناسك : لما ذكر تعالى في الآيات السابقة سفاهات المشركين وضلالاتهم في عبادتهم للأصنام ، وميَّز بين المؤمنين والمجرمين ، ذكر هنا نوعاً خاصاً من أهل الإجمام ، وختم السورة الكريمة ببيان ما حلَّ بالمكذبين من أنواع العذاب والدمار ، تذكيراً للمشركين بانتقام الله من أعدائه المكذبين لرسوله .

اللفظة : ﴿أَكْدَى﴾ قطع العطاء مأخوذ من الكُدْيَة يقال لمن حفر بئراً ثم وجد صخرة تمنعه من إتمام الحفر قد أكدى ، ثم استعمله العرب لمن أعطى ولم يتمم ، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره قال الخطيئة :

فأعطى قليلاً ثم أكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يُحمد^(٥)
﴿أَقْنَى﴾ أعطاه الكفاية من المال ورضاه بما أعطاه قال الجوهري : قني الرجل يقنى مثل غني يغنى أي

(١) قال الخازن : روي عن عمر وابن عباس أنها قالا : لا كبيرة في الإسلام ومعناه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع الإصرار ، فالكبيرة تمنح الاستغفار والتوبة ، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار عليها . (٢) مختصر ابن كثير ٤٠٣/٣ . (٣) تفسير البيضاوي ١٧٣/٤ . (٤) تفسير البحر المحیط ١٦٥/٨ . (٥) البحر المحیط ١٥٥/٨ .

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٦﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٧﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٨﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٩﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٤٠﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٢﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٣﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤٤﴾

أعطاه الله ما يقتنى من المال والنشب ، وأفناه الله رضاه ^(١) ﴿الشعرى﴾ الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر ﴿أزفت﴾ قربت قال كعب بن زهير :

بان الشباب وهذا الشيبُ قد أزفا
ولا أرى لشبابٍ بائنٍ خلفاً^(٢)
والآزفة القيامة سميت بذلك لقربها ودنوها ﴿سامدون﴾ لاهون لاعبون ، والسمودُ اللهب .

سَبَبُ النُّزُولِ : روي أن « الوليد بن المغيرة » جلس عند النبي ﷺ وسمع وعظه ، فتأثر قلبه بما سمع وكاد أن يسلم ، فعيّره رجلٌ من المشركين وقال : تركت دين آبائك وضللتهم وزعمت أنهم في النار ؟ ! فقال الوليد : إني خشيتُ عذاب الله ، فضمن له الرجل إن هو أعطاه شيئاً من ماله ، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله عز وجل ، فأعطاه بعض الذي ضمن له ثم بخل ومنعه الباقي فأنزل الله ﴿أفرايت الذي تولى * وأعطى قليلاً وأكدى﴾^(٣) الآيات .

النَّفْسِيرُ : ﴿أفرايت الذي تولى﴾ أي أخبرني يا محمد عن هذا الفاجر الأثيم الذي أعرض عن الإيمان واتباع الهدى ؟ ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ أي وأعطى لصاحبه الذي عيّره قليلاً من المال المشروط ثم بخل بالباقي قال مجاهد : نزلت في الوليد بن المغيرة^(٤) ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ أي أعنده علمُ بالأمور الغيبية حتى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه العذاب ؟ ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ أي لم يُخبر بما في التوراة المنزلة على موسى ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ أي وبما في صحف إبراهيم الذي ثم ما أمر به من طاعة الله وتبليغ رسالته ، على وجه الكمال والتام قال الحسن : ما أمره الله بشيء إلا وفى به كقوله تعالى ﴿وإذ ابتلى إبراهيمَ ربهُ بكلماتٍ فاتمهنَّ﴾ ﴿ألا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي أن لا تحمل نفسُ ذنب غيرها ، ولا يؤخذ أحدٌ بجريرة غيره ، والآية ردُّ على من زعم أنه يتحمل العذاب عن غيره كقوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خطاياكم﴾ ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ أي وأنه ليس للإنسان إلا عمله وسعيه قال ابن كثير : أي كما لا يُحْمَلُ عليه وزرٌ غيره ، كذلك لا يحصل له من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه^(٥) ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾ أي وأن عمله سيعرض عليه يوم القيامة ، ويراه في ميزانه قال الخازن : وفي الآية بشارة للمؤمن ، وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ، ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غماً^(٦) ﴿ثم يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ

(١) تفسير القرطبي ١١٩/١٧ . (٢) البحر المحيط ١٥٥/٨ . (٣) التفسير الكبير للرازي ٧٦٤/٧ .

(٤) انظر سبب النزول السابق . (٥) مختصر تفسير ابن كثير ٤٠٤/٣ . (٦) تفسير الخازن ٢٢٣/٤ .

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٩﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٥٠﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٥١﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٥٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
الشَّعَرَىٰ ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٤﴾ وَثَمُودًا قَالًا أَبْنَىٰ ﴿٥٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ
أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٦﴾

الأوفى ﴿٤٦﴾ أي ثم يُجْزَى بعمله الجزاء الأتم الأكمل ، وهو وعيدٌ للكافر ووعدٌ للمؤمن ﴿٤٧﴾ وأنَّ إلى ربك المنتهى ﴿٤٨﴾ أي إليه جل وعلا المرجع والمآب والمصير فيعاقب ويثيب . . ثم شرع تعالى في بيان آثار قدرته فقال ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٩﴾ أي هو الذي خلق الفرح والحزن ، والسرور والغم ، فأضحك في الدنيا من أضحك ، وأبكى من أبكى قال مجاهد : أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار ^(١) ﴿٥٠﴾ وَأَنَّهُ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٥٠﴾ أي خلق الموت والحياة فهو جل وعلا القادر على الإماتة والإحياء لا غيره ، ولهذا كرر الإسناد « هو » لبيان أن هذا من خصائص فعل الله ﴿٥١﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٥١﴾ أي أوجد الصنفين الذكر والأنثى من أولاد آدم ومن كل حيوان قال الخازن : والغرض أنه تعالى هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد : الضحك والبكاء ، والإحياء والإماتة ، والذكر والأنثى ، وهذا شيء لا يصل إليه فهم العقلاء ولا يعلمونه ، وإنما هو بقدرته الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة ، وفيه تنبيه على كمال قدرته ، لأن النطفة شيء واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة ، وطبائع متباينة ، وخلق منها الذكر والأنثى ، وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ^(٢) ، ولهذا قال ﴿٥٢﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٥٢﴾ أي خلق الذكر والأنثى من نطفةٍ إذا تدفقت من صلب الرجل ، وصبَّت في رحم المرأة ﴿٥٣﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٥٣﴾ أي وأن عليه جل وعلا إعادة خلق النَّاسِ للحساب والجزاء ، وإحياءهم بعد موتهم قال في البحر : لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ فيها بقوله تعالى ﴿٥٤﴾ عَلَيْهِ ﴿٥٤﴾ كأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه ^(٣) ﴿٥٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٥٤﴾ أي أغنى من شاء ، وأفقر من شاء ^(٤) وقال ابن عباس : أعطى فأرضى ، أغنى الإنسان ثم رضاه بما أعطاه ﴿٥٥﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَىٰ ﴿٥٥﴾ أي هو ربُّ الكوكب المضيء المسمَّى بالشعرى الذي كانوا يعبدونه قال أبو السعود : أي هو رب معبودهم وكانت خزاعة تعبداه، سنَّ لهم ذلك رجلٌ من أشرافهم هو « أبو كبشة » ^(٥) ﴿٥٦﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أي أهلك قوم عاد القدماء الذين بُعث لهم نبيُّ الله « هود » عليه السلام ، وكانوا من أشد الناس أقواهم ، وأعتاهم على الله وأطغاهم ، فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية قال البيضاوي : سميت عاداً الأولى أي القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السلام ^(٦) ﴿٥٧﴾ وَثَمُودَ قَالًا أَبْنَىٰ ﴿٥٧﴾ أي وثمرود دمرهم فلم يُبق منهم أحداً ﴿٥٨﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ ﴿٥٨﴾ أي وقوم نوح قبل عادٍ وثمرود أهلكناهم ﴿٥٩﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٩﴾ أي كانوا أظلم من الفريقين ، وأشد تمرداً

(١) البحر المحيط ٨/١٦٨ . (٢) تفسير الخازن ٤/٢٢٤ . (٣) البحر المحيط ٨/١٦٨ . (٤) هذا قول ابن زيد ثم قرأ ﴿يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ . (٥) تفسير أبي السعود ٥/١٦٣ . (٦) تفسير البيضاوي ٤/١٧٤ .

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾
 أَرِفَتْ الْآزِفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
 وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

وطغياناً ممن سبقهم ، قال في البحر : كانوا في غاية العتو والإيذاء لنوح عليه السلام ، يضرّبونه حتى لا يكاد يتحرك ، ولا يتأثرون بشيء مما يدعّوهم إليه قال قتادة : دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، كلما هلك قرن نشأ قرن ، حتى كان الرجل يأخذ بيد ابنه يتمشى به إلى نوح ليحذره منه ويقول له : يا بني إن أبي مشى بي إلى هذا وأنا مثلك يومئذٍ فأياك أن تصدقه ، فيموت الكبير على الكفر ، وينشأ الصغير على بغض نوح ^(١) ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ أي وقرى قوم لوط أهواها فأسقطها على الأرض بعد أن انقلبت بهم فصار عاليها سافلها ، وذلك أن جبريل رفعها إلى السماء ثم أهوى بها ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ أي فغطّاها من فنون العذاب ما غطّى ، وفيه تهويل للعذاب وتعميم لما أصابهم منه قال في البحر : والمؤتفكة هي مدائن قوم لوط ، سميت بذلك لأنها انقلبت بأهلها ، رفعها جبريل عليه السلام ثم أهوى بها إلى الأرض ، ثم أمطرت عليهم حجارة من سجيل منضود فذلك قوله ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ ^(٢) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُتَمَارَى﴾ أي فبأي نعم الله الدالة على وحدانيته وقدرته تتشكك أيها الإنسان وتكذب !! ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ أي هذا هو محمد رسول منذر كسائر الرسل ومن جنس المنذرين الأولين وقد علمتم ما حلّ بالمكذبين ﴿أَرِفَتْ الْآزِفَةَ﴾ أي دنت الساعة واقتربت القيامة قال القرطبي : سميت آزفة لدنوها وقرب قيامها ^(٣) ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي لا يقدر على كشفها وردها إذا غشيت الخلق بأهواها وشدائدها إلا الله تعالى ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ ؟ استفهامٌ للتوبيخ أي أفمن هذا القرآن تعجبون يا معشر المشركين سخريه واستهزاء ؟ ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ أي وتضحكون عند سماعه ، ولا تبكون من زواجه وآياته ؟ وقد كان حقكم أن تبكوا الدم بدم الدم حزناً على ما فرطتم ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ أي وأنتم لاهون غافلون ؟ ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ أي فاسجدوا لله الذي خلقكم وأفردوه بالعبادة ، ولا تعبدوا اللات والعزى ، ومناة والشعري ، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لا يليق السجود والعبادة إلا له جل وعلا .

الْبَلَاغَةُ : تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ - الإيهام للتعظيم والتهويل ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ ومثله ﴿إِذْ يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ وكذلك ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ .

٢ - الجناس ﴿والنجم إذا هوى . . . وما ينطق عن الهوى﴾ فالأول هوى بمعنى خراً وسقط والثاني بمعنى هوى النفس .

٣ - الطباقي بين ﴿أضحك وأبكى﴾ وبين ﴿أما وأحيا﴾ وبين ﴿ضلّ واهتدى﴾ وبين ﴿الآخرة والأولى﴾ وبين ﴿تضحكون ولا تبكون﴾ وهي من المحسنات البديعية .

٤ - المقابلة ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ كما فيه إطناب في تكرار لفظ يجزي وكلاهما من المحسنات البديعية .

٥ - الاستفهام التوبيخي مع الإزراء بعقولهم ﴿ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى﴾ .

٦ - الجناس الناقص بين ﴿أغنى . . وأقنى﴾ لتغير بعض الحروف .

٧ - جناس الاشتقاق ﴿أزفت الأزفة﴾ .

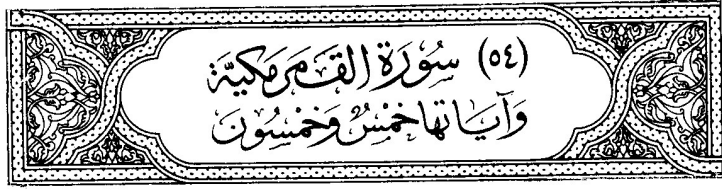
٩ - عطف العام على الخاص ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ .

١٠ - مراعاة الفواصل ورءوس الآيات، مما له أجل الوقع على السمع مثل ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى ؟ ومثله ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون﴾ ؟ ويسمى بالسجع .

تنبیه : كانت الأصنام التي عبدها المشركون كثيرة تقرب من ثلاثمائة وستين صنماً ومعظمها حول الكعبة وقد حطمها ﷺ عند فتحه لمكة ، وأشهر هذه الأصنام « اللات ، والعزى ، ومناة » وقد أرسل ﷺ عام الفتح خالد بن الوليد ليحطم العزى فحطمها وهو يقول :

يا عزُّ كفرانك لا سبحانك إني رأيتُ الله قد أهانك
وانتهت بفتح مكة عبادة الأوثان والأصنام ، ودخل الناس في دين الإسلام أفواجاً أفواجاً .

« تم بعونه تعالى تفسير سورة النجم »



بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

* سورة القمر من السور المكية ، وقد عاجلت أصول العقيدة الإسلامية ، وهي من بدئها إلى نهايتها حملةً عنيفةً مفزعة على المكذبين بآيات القرآن ، وطابع السورة الخاص ، هو طابع التهديد والوعيد ، والإعذار والإنذار ، مع صور شتى من مشاهد العذاب والدمار .

* ابتدأت السورة الكريمة بذكر تلك « المعجزة الكونية » معجزة انشقاق القمر ، التي هي إحدى المعجزات العديدة لسيد البشر ﷺ ، وذلك حين طلب المشركون منه معجزة جلية تدل على صدقه ، وخصصوا بالذكر أن يشق لهم القمر ليشهدوا له بالرسالة ، ومع ذلك عاندوا وكابروا ﴿ اقتربت الساعة وإنشق القمر ﴾ وإن يروا آيةً يُعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر . . . ﴿ الآيات .

* ثم انتقلت للحديث عن أهوال القيامة وشدائدها ، بأسلوب مخيف يهز المشاعر هزاً ، ويحرك في النفس الرعب والفزع من هول ذلك اليوم العصيب ﴿ فتولّ عنهم يوم يدع الداع إلى شيءٍ نكر ﴾ خُشَعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ .

* وبعد الحديث عن كفار مكة ، يأتي الحديث عن مصارع المكذبين ، وما نالهم في الدنيا من ضروب العذاب والدمار بدءاً بقوم نوح ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونٌ وازدجر . . ﴾ ثم تلاه الحديث عن الطغاة المتجبرين من الأمم السالفة ، الذين كذبوا الرسل فأهلكهم الله إهلاكاً فظيماً ، ودمرهم عن بكرة أبيهم ، وقد تحدثت الآيات عن قوم « عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وقوم فرعون » وغيرهم من الطغاة المتجبرين بشيءٍ من الإسهاب ، مع تصوير أنواع العذاب .

* وبعد عرض هذه المشاهد الأليمة - مشاهد العذاب والنكال - الذي حلّ بالمكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم توجهت السورة إلى مخاطبة قريش ، وحذرتهم مصرعاً كهذه المصارع بل ما هو أشد وأنكى ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر . . . ﴿ الآيات .

* وختمت السورة ببيان مآل السعداء المتقين ، بعد ذكر مآل الأشقياء المجرمين ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب ، بأسلوبه العجيب ﴿إن المتقين في جناتٍ ونهرٍ* في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿اقتربت الساعةُ وانشق القمرُ .. إلى .. فهل من مُدكرٍ﴾
من آية (١) إلى نهاية آية (٣٢) .

اللفظة : ﴿الأحداث﴾ جمع حدث وهو القبر ﴿مهطعين﴾ مسرعين يقال : أهطع في سيره أي أسرع ﴿منهم﴾ انهمر الماء نزل بقوة غزيراً ﴿دُسُر﴾ الدُسُر : المسامير التي تُشدُّ بها السفينة جمع دَسار ككتاب وكتب قال في الصحاح : الدَسار واحد الدُسُر وهي خيوط تشدُّ بها ألواح السفينة ويقال هي المسامير ^(١) ﴿مُدكرٍ﴾ متعظ خائف وأصله مذتكر قلبت التاء دالاً ثم أدغمت الدال فيها فصارت مدكر ﴿صرصراً﴾ الصرصر : الشديدة الصوت مع البرد مأخوذ من صرير الباب وهو تصويته ﴿أعجاز﴾ جمع عجز وهو مؤخر الشيء ﴿منقعر﴾ المنقعر : المنقلع من أصله يقال : قعرت الشجرة قعراً قلعتها من أصلها فانقعرت ﴿سُعُر﴾ جنون من قولهم ناقة مسعورة كأنها من شدة نشاطها مجنونة قال الشاعر :

تخالُّ بها سُعراً إذا السُّقر هزَّها ^(٢)

﴿أشير﴾ الأشير : البطر ورجلٌ أشير أي بطر أبطرته النعمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ^(١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ^(٢)

التفسير : ﴿اقتربت الساعةُ وانشق القمرُ﴾ أي دنت القيامة وقد انشق القمر ﴿وإن يروا آيةً يعرضوا﴾ أي وإن ير كفار قريش علامة ، واضحة ومعجزة ساطعة ، تدل على صدق محمد ﷺ يعرضوا عن الإيمان ﴿ويقولوا سحراً مستمراً﴾ أي ويقولوا هذا سحرٌ دائم ، سحر به محمدٌ أعيننا قال المفسرون : إن كفار مكة قالوا للرسول ﷺ : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين ، ووعده بالآيمان إن فعل ، وكانت ليلة بدر ، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما طلبوا ، فانشق القمر نصف على جبل الصفا ، ونصف على جبل قيعان المقابل له ، حتى رأوا حراء بينهما ، فقالوا : سحرنا محمد ، ثم قالوا : إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم !! فقال أبو جهل : اصبروا حتى تأتينا أهل البوادي فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح ، وإلا فقد سحر محمد أعيننا ، فجاءوا فأخبروا بانشقاق القمر فقال أبو

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٥﴾
حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٦﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكَرٍ ﴿٧﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ
مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٨﴾

جهل والمشركون : هذا سحر مستمر أي دائم فأنزل الله ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴿١﴾ قال الخازن : وانشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ الظاهرة ، ومعجزاته الباهرة ، يدل عليه ما أخرجه الشيخان عن أنس « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أنه يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين » وما روي عن ابن مسعود قال « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا » ﴿٢﴾ وما روي عن جبير بن مطعم قال « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين ، فقالت قريش : سحر محمد أعيننا فقال بعضهم : لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم ، فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم » ﴿٣﴾ فهذه الأحاديث الصحيحة ، قد وردت بهذه المعجزة العظيمة ، مع شهادة القرآن العظيم بذلك ، فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له وإمكانه لا يشك فيه مؤمن ، وقيل في معنى الآية : ينشق القمر يوم القيامة ، وهذا قول باطل لا يصح ، وشاذ لا يثبت ، لإجماع المفسرين على خلافه ، ولأن الله ذكره بلفظ الماضي ﴿ وانشق القمر ﴾ وحمل الماضي على المستقبل بعيد ﴿٤﴾ ﴿ وكذبوا واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي وكذبوا النبي ﷺ وما عاينوه من قدرة الله تعالى في انشقاق القمر ، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل ﴿ وكلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي وكل أمر من الأمور منتهى إلى غاية يستقر عليها لا محالة إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر قال مقاتل : لكل حديث منتهى وحقيقة ينتهي إليها وقال قتادة : إن الخير يستقر بأهل الخير ، والشر يستقر بأهل الشر ، وكل أمر مستقر بأهله ﴿٥﴾ ﴿ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجَرٌ ﴾ أي ولقد جاء هؤلاء الكفار من أخبار الأمم الماضية المكذبين للرسول ، ما فيه واعظ لهم عن التادي في الكفر والضلال ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ أي هذا القرآن حكمة بالغة ، بلغت النهاية في الهداية والبيان ﴿ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ ﴾ أي أي شيء تغني النُّذُرُ عن كتب الله عليه الشقاوة ، وختم على سمعه وقلبه ؟! قال المفسرون : المعنى لقد جاءهم القرآن وهو حكمة تامة قد بلغت الغاية ، فماذا تنفع الإنذارات والمواعيد لقوم أصموا أذانهم عن سماع كلام الله ؟ كقوله تعالى ﴿ وما تُغْنِي الْآيَاتِ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ فتولَّ عنهم ﴾ أي فأعرض يا محمد عن هؤلاء المجرمين وانتظرهم ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكَرٍ ﴾ أي يوم يدعو إسرافيل إلى شيء منكر فظيع ، تنكره النفوس لشدة وهوله ، وهو يوم القيامة وما فيه من البلاء والأحوال ﴿ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ ﴾ أي ذليلةً أبصارهم لا يستطيعون رفعها من شدة الهول ﴿ يخرجون من الأجداث ﴾ أي يخرجون من

(١) هذا قول جمهور المفسرين وهو مروى عن ابن عباس وأنس وابن عمر ، وذهب بعضهم إلى أن القمر سينشق يوم القيامة قال ابن الجوزي : وهو قول شاذ لا يقاوم الإجماع .

(٢) رواه البخاري ومسلم . (٣) أخرجه الترمذي وغيره . (٤) تفسير الخازن ٤/ ٢٢٦ . (٥) تفسير ابن الجوزي ٨/ ٨٩ .

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿١٨﴾ * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
وَأَزْدُجِرَ ﴿١٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿٢٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٢١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ
عَيْنًا فَالتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٢٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِرَ ﴿٢٣﴾

القبور ﴿كأنَّهم جرادٌ مُنتشر﴾ أي كأنهم في انتشارهم وسرعة إجابتهم للداعي جرادٌ منتشر في الآفاق ،
لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة قال ابن الجوزي : وإنما شبههم بالجراد المنتشر ، لأن الجراد لا
جهة له يقصدها ، فهم يخرجون من القبور فرعين ليس لأحدٍ منهم جهة يقصدها ، والداعي هو
إسرافيل ^(١) ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ أي مسرعين مادي أعناقهم إلى الداعي لا يتلكثون ولا يتأخرون
﴿يقول الكافرون هذا يومٌ عَسِرٌ﴾ أي يقول الكافرون هذا يومٌ صعبٌ شديد قال الخازن : وفيه إشارة
إلى أن ذلك اليوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين ^(٢) كقوله تعالى ﴿على الكافرين غيرٌ يسير﴾ . .
ثم ذكر تعالى وقائع الأمم المكذبين وما حلَّ بهم من العذاب والنكال تسلياً لرسول الله ﷺ وتحذيراً لكفار
مكة فقال ﴿كذبت قبلهم قومُ نوح﴾ أي كذب قبل قومك يا محمد قومُ نوح ﴿فكذبوا عبدنا وقالوا
مجنون وازدجر﴾ أي فكذبوا عبدنا نوحاً وقالوا إنه مجنون ، وانهروه وزجروه عن دعوى النبوة بالسب
والتخويف والوعيد بتوطم ﴿لئن لم تنته يا نوحُ لتكوننَّ من المرجومين﴾ قال في البحر : لم يقنعوا بتكذيبه
حتى نسبوه إلى الجنون أي أنه يقول ما لا يقبله عاقل وذلك مبالغة في تكذيبهم ، وإنما قال ﴿عبدنا﴾ تشريفاً
له وخصوصية بالعبودية ^(٣) ﴿فدعا ربُّه أنِّي مغلوبٌ فانتصر﴾ أي فدعا نوح ربه وقال يا ربَّ إني
ضعيف عن مقاومة هؤلاء المجرمين ، فانتقم لي منهم وانتصر لدينك قال أبو حيان : وإنما دعا عليهم بعدما
يئس منهم وتفاقم أمرهم ، وكان الواحد من قومه يخنقه إلى أن يخر مغشياً عليه وهو يقول : اللهم اغفر
لقومي فإنهم لا يعلمون ^(٤) ﴿ففتحنا أبواب السماء بماءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ أي فأرسلنا المطر من السماء منصباً
بقوة وغزارة قال أبو السعود : وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها ^(٥) ﴿وفجَّرنا الأرض عيوناً﴾ أي
جعلنا الأرض كلها عيوناً متفجرة بالماء ﴿فالتقى الماءُ على أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي فالتقى ماء السماء وماء
الأرض على حالٍ قد قدرها الله في الأزل وقضاها بإهلاك المكذبين غرقاً قال قتادة : قضى عليهم في أم
الكتاب إذا كفروا أن يُغرقوا ﴿وحملناه على ذات ألواحٍ ودُسِرَ﴾ أي وحملنا نوحاً على السفينة ذات
الألواح الخشبية العريضة المشدودة بالمسامير قال في البحر : وذات الألواح والدُّسر هي السفينة التي أنشأها
نوح عليه السلام ، ويفهم من هذين الوصفين أنها « السفينة » فهي صفة تقوم مقام الموصوف وتنب عنه
ونحوه : قميصي مسرودة من حديد أي درع ، وهذا من فصيح الكلام وبديعه ، ولو جمعت بين الصفة

(١) تفسير ابن الجوزي ٩١/٨ . (٢) تفسير الخازن ٢٢٨/٤ .

(٣) تفسير البحر المحيط ١٧٦/٨ .

(٤) البحر المحيط ١٧٦/٨ . (٥) تفسير أبي السعود ٧٨٦/٧ .

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي
وَنَذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرٍ ﴿١٨﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرٍ ﴿٢١﴾

والموصوف لم يكن بالفصيح ، والدُّسُرُ : المسامير^(١) ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي تسير على وجه الماء بحفظنا وكلاءتنا وتحت رعايتنا ﴿جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ أي أغرقنا قوم نوح انتصاراً لعبدنا نوح لأنه كان قد كُذِّبَ وجُحِدَ فضله قال الألوسي : أي فعلنا ذلك جزاءً لنوح لأنه كان نعمةً أنعمها الله على قومه فكفروها ، وكذلك كلُّ نبيٍّ نعمةً من الله تعالى على أمته^(٢) ﴿ولقد تركناها آية﴾ أي تركنا تلك الحادثة « الطوفان » عبرة ﴿فهل من مدكر﴾ أي فهل من معتبر ومتعظ ؟ ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ استفهام تهويل وتعجيب أي فكيف كان عذابي وإنذاري لمن كذب رسلي ، ولم يتعظ بآياتي ؟ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ أي والله لقد سهلنا القرآن للحفظ والتدبر والانتعاظ ، لما اشتمل عليه من أنواع المواعظ والعبر ﴿فهل من مدكر﴾ أي فهل من متعظ بمواعظه ، معتبر بقصصه وزواجه ؟ قال الخازن : وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به ، لأنه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده ، بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير ، والعربي والعجمي قال سعيد بن جبير : يسرناه للحفظ والقراءة ، وليس شيء من كتب الله تعالى يُقرأ كله ظاهراً إلا القرآن^(٣) ، وبالجمله فقد جعل الله القرآن مهيباً ومسهلاً لمن أراد حفظه وفهمه أو الانتعاظ به ، فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي كذبت عادٌ رسولهم هوداً فكيف كان إنذاري لهم بالعذاب ؟ ثم شرع في بيان ما حلَّ بهم من العذاب الفظيع المدمر فقال ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي أرسلنا عليهم ريحاً عاصفة باردة شديدة الهبوب والصوت قال ابن عباس : الصرصر : الشديدة البرد وقال السدي : الشديدة الصوت^(٤) ﴿في يوم نحس مستمر﴾ أي في يومٍ مشؤم دائم الشؤم ، استمر عليهم بشؤمه فلم يبق منهم أحدٌ إلا هلك فيه قال ابن كثير : استمر عليهم نحسه ودماره ، لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي ﴿تنزع الناس﴾ أي تقلع الرياح القوم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وتركهم ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ أي كأنهم أصول نخلٍ قد انقلعت من مغارسها وسقطت على الأرض ، شبهوا بالنخل لطولهم وضخامة أجسامهم قال الخازن : كانت الرياح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم ، وتفصل رؤوسهم من أجسامهم فتبقى أجسامهم بلا رؤوس كعجز النخلة الملقاة على الأرض^(٥) ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ تهويل لما حلَّ بهم من العذاب وتعجيب من أمرهم أي كيف كان عذابي وإنذاري

(١) البحر المحيط ١٧٧/٨ . (٢) روح المعاني ٨٣/٢٧ . (٣) تفسير الخازن ٢٢٨/٤ .

(٤) قال ابن كثير بعد أن نقل الأقوال : والحق أنها متصفة بجميع ذلك ، فقد كانت ريحاً شديدة قوية ، وكانت باردة شديدة البرد ، وكانت

ذات صوت مزعج اهـ . وهذا القول هو الذي اخترناه . (٥) تفسير الخازن ٢٢٩/٤ .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبْتَ ثُمُودُ بِالنَّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ
 إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَلٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ
 الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

لهم ؟ ألم يكن هائلاً فظيماً ؟ ﴿٢٢﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟ كرره للتنبيه على فضل الله على المؤمنين بتيسير حفظ القرآن أي ولقد سهلنا القرآن للحفظ والفهم ، فهل من متعظ ومعتبر بزواج القرآن ؟ ثم أخبر تعالى عن قوم ثمود المكذبين لرسولهم صالح عليه السلام فقال ﴿٢٣﴾ كذبت ثمود بالنذر أي كذبت ثمود بالإنذارات والمواعظ التي أنذرهم بها نبهم صالح ﴿٢٤﴾ فقالوا أبشراً منّا واحداً نتبعه أي أنتبع إنساناً مثلنا من آحاد الناس ، ليس من الأشراف ولا العظماء ، ونحن جماعة كثيرون ؟ قال في البحر : قالوا ذلك حسداً منهم واستبعاداً أن يكون نوع البشر يفضل بعضه بعضاً هذا الفضل ، فقالوا : أنكون جمعاً ونتبع واحداً منا ؟ ولم يعلموا أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، ويفيض نور الهدى على من رضيهِ ^(١) ﴿٢٥﴾ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ أي إنا إذا اتبعناه لفي خطأ وذهاب عن الحق واضح ، وجنون دائم قال ابن عباس : سَعُر أي جنون من قولهم ناقة مسعورة كأنها من شدة نشاطها مجنونة ^(٢) ﴿٢٦﴾ أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا استفهام إنكاري أي هل خص بالوحي والرسالة وحده دوننا ، وفيما من هو أكثر منه مالاً وأحسن حالاً ؟ قال الإمام الفخر : وفي الآية إشارة إلى ما كانوا ينكرونه بطريق المبالغة ، وذلك لأن الإلقاء إنزال بسرعة ، فكأنهم قالوا : الملك جسيم والسماء بعيدة فكيف ينزل عليه الوحي في لحظة ؟ وقولهم « عليه » إنكار آخر كأنهم قالوا : ما أُلْقِيَ عليه ذكر أصلاً ، وعلى فرض نزوله فلا يكون عليه من بيننا وفيما من هو فوقه في الشرف والذكاء ؟ وقولهم ﴿٢٧﴾ أُلْقِيَ اللَّهُ إشارة إلى أن الإلقاء من السماء غير ممكن فضلاً عن أن يكون من الله تعالى ^(٣) ﴿٢٨﴾ بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ أي بل هو كاذب في دعوى النبوة ، متجاوز في حد الكذب ، متكبر بطر يريد العلو علينا ، وإنما وصفوه بأنه ﴿٢٩﴾ أَشِرٌّ مبالغة منهم في رفض دعواه كأنهم قالوا إنه كذب لا ضرورة وحاجة إلى الخلاص كما يكذب الضعيف ، وإنما تكبر واطر وطلب الرياسة عليكم وأراد أن تتبعوه فكذب على الله ، فلا يلتفت إلى كلامه لأنه جمع بين رذيلتين : الكذب والتكبر ، وكل منهما مانع من اتباعه ، قال تعالى تهديداً لهم ورداً لبهتانهم ﴿٣٠﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ أي سيعلمون في الآخرة من هو الكذاب الأشر ، هل هو صالح عليه السلام أم قومه المكذبون المجرمون ؟ قال الألوسي : المراد سيعلمون أنهم هم الكذابون الأشرون ، لكن أورد ذلك مورد الإيهام إيماء إلى أنه مما لا يكاد يخفى ^(٤) ﴿٣١﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ أي مخرجوا الناقة من الصخرة الصماء محنة لهم واختباراً كما شاءوا وطلبوا قال ابن كثير : أخرج الله لهم ناقة عظيمة عشراء ، من صخرة صماء طبق ما سألوا ، لتكون حجة الله عليهم

(١) تفسير البحر المحیط ٨/ ١٨٠ . (٢) تفسير القرطبي ١٧/ ١٣٨ . (٣) التفسير الكبير للرازي ٧/ ٧٩٩ . (٤) روح المعاني ٢٧/ ٨٨ .

وَبَيْنَهُمْ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضِرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾

في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به ^(١) ﴿فارتقبهم واصطبر﴾ أي فانتظرهم وتبصّر ما يصنعون وما يُصنع بهم ، واصبر على أذاهم فإن الله ناصرٌك عليهم ﴿وَبَيْنَهُمْ أَنْ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي وأعلمهم أن الماء الذي يمرُّ بواديهم مقسومٌ بين ثمود وبين الناقة كقوله تعالى ﴿لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ قال ابن عباس : إذا كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئاً من الماء وتسقيهم لبناً وكانوا في نعيم ، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تُبق لهم شيئاً ^(٢) ، وإنما قال تعالى ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليياً للعقلاء ﴿كُلُّ شَرِبٍ مُحْتَضِرٌ﴾ أي كل نصيب وحصّة من الماء يحضرها من كانت نوبته ، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها ، وإذا كان يومهم حضرُوا شربهم ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ أي فنادت قبيلة ثمود أشقى القوم واسمه « قدار بن سالف » لقتل الناقة فتناول الناقة بسيفه فقتلها غير مكترث بالأمر العظيم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي فكيف كان عقابي وإنذاري لهم ؟ ألم يكن فظيماً شديداً ؟! ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي أهلكناهم بصيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام فلم تبق منهم عين تطرف ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ أي فصاروا هشياً متفتتاً كيابس الشجر إذا بلي وتحطّم وداسته الأقدام قال الإمام الجلال : المحتظر هو الذي يجعل لغنمه حظيرةً من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع ، وما سقط من ذلك فداسته فهو الهشيم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي يسرناه للحفظ والاعتاظ فهل من معتبر ؟

قال الله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي . . . إِلَى . . . عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ﴾

من آية (٣٣) إلى آية (٥٥) نهاية السورة .

الْمَنَاسِكَةُ : لما ذكر تعالى المكذبين من قوم « عاد و ثمود » ذكر هنا قوم لوط وقوم فرعون وما حل بهم من العذاب والدمار ، تذكيراً لكفار مكة بانتقام الله من أعدائه وأعداء رسله ، وختم السورة الكريمة ببيان سنة الله في عقاب الكفرة المجرمين .

اللفظة : ﴿حَاصِبًا﴾ الحاصب : الحجارة وقيل : هي الريح الشديد التي تثير الحصباء وهي الحصى ﴿بَطْشَنَا﴾ عقابنا الشديد ﴿الزُّبُرُ﴾ الكتب السماوية جمع زبور وهو الكتاب الإلهي ﴿أَدْمَى﴾ أفضع من الداهية وهي الأمر المنكر العظيم ﴿سُعُرًا﴾ خسران وجنون ﴿سَقَرًا﴾ اسم من أسماء جهنم أعادنا الله منها .

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٤١١/٣ . (٢) تفسير القرطبي ١٤٠/١٧ .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا
أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هَلَّلُوا مِنْ مَذْكِرٍ ﴿٤٠﴾

سَبَبُ النُّزُولِ : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في
القدر فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وجوههم ذوقوا مسَّ سقر * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (١) .

التفسير : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ أي كذبوا بالإشارات التي أنذرهم بها نبيهم لوط عليه
السلام ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي أرسلنا عليهم حجارة قذفوا بها من السماء قال ابن كثير : أمر
تعالى جبريل فحمل مدائنهم حتى وصل بها إلى عنان السماء ، ثم قلبها عليهم وأرسلها وأتبع بحجارة
من سجيل منضود ، والخاصب هي الحجارة (٢) ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ أي غير لوط وأتباعه المؤمنين ﴿نَجَّيْنَاهُمْ
بِسَحَرٍ﴾ أي نجيناهم من الهلاك قبيل الصبح وقت السحر ﴿نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي إنعاماً منا
عليهم نجيناهم من العذاب ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أي مثل ذلك الجزاء الكريم ، نجزي من
شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أي ولقد خوفهم لوط عقوبتنا الشديدة ، وانتقامنا
منهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ أي فتشككوا وكذبوا بالإندار والوعيد ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾ أي
طلبوا منه أن يسلم لهم أضيافه وهم الملائكة ليفجروا بهم بطريق اللواط ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أي أعمينا
أعينهم وأزلنا أثرها حتى فقدوا أبصارهم قال المفسرون : لما جاءت الملائكة إلى لوط في صورة شبابٍ مردٍ
حسان ، أضافهم لوط عليه السلام ، فجاء قومه يُهرعون إليه لقصد الفاحشة بهم ، فأغلق لوط دونهم
الباب ، فجعلوا يحاولون كسر الباب ، فخرج عليهم جبريل فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست
أعينهم وعموا (٣) ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ أي فذوقوا عذابي وإنذاري الذي أنذركم به لوط ﴿وَلَقَدْ
صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي جاءهم وقت الصبح عذابٌ دائم متصل بعذاب الآخرة قال
الصاوي : وذلك أن جبريل قلع بلادهم فرفعها ثم قلبها بهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، واتصل
عذاب الدنيا بعذاب الآخرة فلا يزول عنهم حتى يصلوا إلى النار (٤) ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ أي
فذوقوا أيها المجرمون عذابي الأليم ، وإنذاري لكم على لسان رسولي ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلَّذِينَ هَلَّلُوا
مِنْ مَذْكِرٍ﴾ أي ولقد يسرنا القرآن للحفظ والتدبر فهل من متعظٍ ومعتبر ؟ قال المفسرون : حكمة تكرار
ذلك في كل قصة ، التنبيه على الاتعاظ والتدبر في أنباء الغابرين ، وللإشارة إلى أن تكذيب كل رسولٍ

(١) أخرجه مسلم والترمذي . (٢) مختصر تفسير ابن كثير ٤١٢/٣ .

(٣) انظر تفسير الخازن ٢٣٠/٤ وتفسير الرازي ٨٠٨/٧ . (٤) حاشية الصاوي ١٥٠/٤ .

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾

مقتض لنزول العذاب كما كرر قوله ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ تقريراً للنعم المختلفة المعدودة ، فكلما ذكر نعمةً وبَّخ على التكذيب بها^(١) ﴿ولقد جاء آل فرعون النُّذُر﴾ أي جاء فرعون وقومه الإنذارات المتكررة فلم يعتبروا قال أبو السعود : صُدَّرت قصتهم بالقسم المؤكد لإبراز كمال الاعتناء بشأنها ، لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها ، وهول ما لاقوه من العذاب ، وفرعون رأس الطغيان^(٢) ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ أي كذبوا بالمعجزات التسع التي أعطيها موسى^(٣) ﴿فأخذناهم أخذ عزيز مُّقْتَدِر﴾ أي فانتقمنا منهم بإغراقهم في البحر ، وأخذناهم بالعذاب أخذ إله غالب في انتقامه ، قادر على إهلاكهم لا يعجزه شيء . . ثم خوَّف تعالى كفار مكة فقال ﴿أكفاركم خيرٌ من أولئكم﴾ ؟ الاستفهام إنكاري للتفريع والتوبيخ أي أكفاركم يا معشر العرب خيرٌ من أولئكم الكفار الذين أحللت بهم نقمتي مثل قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وقوم فرعون ، حتَّى لا أعذبهم ؟ قال القرطبي : استفهام إنكار ومعناه النفي أي ليس كفاركم خيراً من كفار من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم^(٤) ﴿أم لكم براءة في الزُّبُر﴾ أي أم لكم يا كفار قريش براءة من العذاب في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء ؟ ﴿أم يقولون نحن جميع مُنْتَصِرُونَ﴾ أي بل يقولون نحن جمعٌ كثير ، واثقون بكثرتنا وقوتنا ، منتصرون على محمد ؟ قال تعالى رداً عليهم ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ أي سيهزم جمع المشركين ويولون الأدبار منهزمين قال ابن الجوزي : وهذا مما أخبر الله به نبيه من علم الغيب ، فكانت الهزيمة يوم بدر^(٥) ﴿بل السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي ليس هذا تمام عقابهم بل القيامة موعد عذابهم ﴿والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ أي أعظم داهيةً وأشدُّ مرارةً من القتل والأسر ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ أي إن المجرمين في حيرةٍ وتخبُّطٍ في الدنيا ، وفي نيرانٍ مسعرةٍ في الآخرة قال ابن عباس : في خسرانٍ وجنون^(٦) ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أي يوم يُجْرُونَ في النار على وجوههم عقاباً وإذلالاً لهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ أي يقال لهم : ذوقوا أيها المكذبون عذاب جهنم قال أبو السعود : وسقر علمٌ لجهنم ولذلك لم يُصرف^(٧) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ أي إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ مَقْدَرًا مَكْتُوبًا في اللوح المحفوظ من الأزل ﴿وما أمرنا إِلَّا وَاحِدَةً كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ أي وما شأنا في الخلق والإيجاد إِلَّا مرة واحدة كلمح البصر في السرعة

(١) انظر التفسير الكبير للرازي ٨١٠/٧ . (٢) تفسير أبي السعود ١٧٨/٥ . (٣) قال القرطبي : المراد المعجزات الدالة على توحيد الله ونبوة موسى وهي : «العصا، واليد، والسنون، والطمس، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم» .
(٤) تفسير القرطبي ١٤٥/١٧ . (٥) تفسير ابن الجوزي ١٠٠/٨ . (٦) روح المعاني ٩٣/٢٧ . (٧) تفسير أبي السعود ١٧٩/٥ .

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

نقول للشيء : كن فيكون قال ابن كثير : أي إنما نأمر بالشيء مرة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد بشانية ، فيكون ذلك موجوداً كلمح البصر لا يتأخر طرفة عين^(١) ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أي ووالله لقد أهلكنا أشباهكم ونظراءكم في الكفر والضلال من الأمم السالفة ﴿فهل من مدكر﴾ أي فهل من يتذكر ويتعظ ؟ ﴿وكل شيء فعلوه في الزُّبُر﴾ أي وجميع ما فعلته الأمم المكذبة من خير وشر مكتوب عليهم ، مسجل في كتب الحفظة التي بأيدي الملائكة قال ابن زيد : ﴿في الزُّبُر﴾ أي في دواوين الحفظة ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ أي وكل صغير وكبير من الأعمال مسطور في اللوح المحفوظ ، مثبت فيه ﴿إن المتقين في جنات ونهر﴾ أي في جنات وأنهار قال القرطبي : يعني أنهار الماء ، والخمر ، والعسل ، واللبن ﴿في مقعد صدق﴾ أي في مكان مرضي ، ومقام حسن ﴿عند ملكٍ مقتدر﴾ أي عند رب عظيم جليل ، قادر في ملكه وسلطانه ، لا يعجزه شيء ، وهو الله رب العالمين .

البلاغة : تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبدیع نوجزها فيما يلي :

- ١ - الاستعارة التمثيلية ﴿ففتحن أبواب السماء﴾ شبه تدفق المطر من السحاب بانصباب أنهار انفتحت بها أبواب السماء ، وانشق بها أديم الخضراء بطريق الاستعارة التمثيلية .
- ٢ - جناس الاشتقاق ﴿يدعو الداع﴾ .
- ٣ - الكناية ﴿وحملناه على ذات ألواح ودسر﴾ كناية عن السفينة التي تحوي الأخشاب والمسامير .
- ٤ - التشبيه المرسل والمجمل ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ ومثله ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ .
- ٥ - صيغة المبالغة ﴿بل هو كذاب أشر﴾ أي كثير الكذب عظيم البطر لأن فعَّال وفعل للمبالغة .
- ٦ - الإطناب بتكرار اللفظ ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى﴾ لزيادة التخويف والتهويل .
- ٧ - المقابلة بين المجرمين والمتقين ﴿إن المجرمين في ضلالٍ وسُعُرٍ﴾ و ﴿إن المتقين في جناتٍ ونهرٍ﴾ .

٨ - الطباق بين ﴿صغير وكبير﴾ .

- ٩ - السجع المرصع غير المتكلف الذي يزيد في جمال اللفظ وموسيقاه إقرأ مثلاً قوله تعالى ﴿ذوقوا مس سقر﴾ إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ الخ .

« تم بعونه تعالى تفسير سورة القمر »
